

الثيمة الدينية لمعركة ليبانت التاريخية

The religious significance of the historic Battle of Lepant

ناصر بوشليق^{*1} ، المركز الجامعي سي الحواس-بريكة، الجزائر، مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية جامعة محمد بوضياف-المسيلة، الجزائر، nacer.bouchelig@cu-barika.dz ، خالد كريبي²، المركز الجامعي سي الحواس-بريكة، الجزائر، khaled.kribi@cu-barika.dz

تاريخ قبول المقال: 17-10-2024 .

تاريخ إرسال المقال: 03-08-2024

الملخص:

تعرض هذه الدراسة أحد حلقات الصراع بين العالم الإسلامي، والعالم المسيحي في العصر الحديث بحوض البحر المتوسط من خلال معركة ليبانت التاريخية، حيث كان فتح العثمانيين لقبرص سببا مباشرا لها وهو ما اعتبرته البابوية خطرا كبير يهدد المسيحية والعالم المسيحي فعملت على حشد الدول الأوروبية من خلال جهود البابا بيوس الخامس بهدف تكوين حلف مقدس لشن هجوم بحري على الدولة العثمانية .
الكلمات المفتاحية: البحر المتوسط - الدولة العثمانية - البابوية - ليبانت .

Abstract:

This study presents one of the episodes of the conflict between the Islamic world and the Christian world in the modern era in the Mediterranean basin through the historical Battle of Lepanto, where the Ottoman conquest of Cyprus was a direct cause of it, which the papacy considered a great danger threatening Christianity and the Christian world, so it worked to mobilize the European countries through the efforts of Pope Pius V with the aim of forming a holy alliance to launch a naval attack on the Ottoman Empire.

Key words : Mediterranean - Ottoman Empire - Papacy - Libyan.

* ناصر بوشليق

مقدمة:

شهد المجال المتوسطي منذ منتصف القرن 15م لحظة تشكل تاريخية وفق معطيات جديدة، تمثلت في ظهور أقطاب سياسية وعسكرية جديدة، كان لها الأثر الكبير في الوقائع التاريخية خلال القرن السادس عشر، فكان العثمانيون ضمن مشهد التنافس المتوسطي يمثلون الجانب الإسلامي، بينما العالم المسيحي تمثلته غرب أوروبا ولاسيما إسبانيا وفرنسا وبعض الولايات الإيطالية، وقد بلغ هذا التنافس أوجه في القرن 16م، أين تمكنت الدولة العثمانية من السيطرة على كثير من المراكز التابعة للمسيحيين الواقعة شرق البحر المتوسط في جنوب شرق أوروبا، والتي ارتكز فيها نشاط المسيحيين الذين عملوا على الاعتداء على كل ماله علاقة بالإسلام من خلال اعتداءاتهم المتكررة على السفن التجارية والحجاج المسلمين.

وهو مادفع الدولة العثمانية إلى حتمية التوجه صوبها والسيطرة على هاته المراكز، وبتمكن العثمانيون في سنة 1570م من فتح قبرص التي شكلت أهمية خاصة للعالم المسيحي، شد هذا أنظار دول أوروبا المسيحية التي أدركت تعاظم القوة العثمانية و توجهها نحو نشر الاسلام في أوروبا، وأثار في نفوسها خوفا وهلعا، ورأت فيه الكنيسة الكاثوليكية بزعامة البابا بيوس الخامس خطرا كبيرا يهدد المسيحية والعالم المسيحي، ومنه عملت على السعي برفقة الدول الأوروبية لتكوين حلف مقدس في سنة 1570م، تعهدت بموجبه بشن هجوم بحري ضد الدولة العثمانية، واعتبرت البابوية أن هذه الحرب هي حرب بين الصليب والهلال لذلك تعد موقعة ليبانت سنة 979هـ/1571م إحدى حلقات الصراع الإسلامي المسيحي ولذلك سوف نحاول في هذا البحث الإجابة عن التساؤلات التالية :

- كيف ساهمت البابوية في توظيف الخطاب الديني وتكوين الحلف المقدس في معركة ليبانت؟ .
- ما هو الدور الذي لعبه البابا بيوس الخامس في توحيد دول أوروبا والتحضير لمعركة ليبانت؟.
- كيف كانت وقائع معركة ليبانت ؟ وماهي تأثير نتائجها على العالم الإسلامي والمسيحي؟.

المبحث الأول: ليبانت التسمية والأهمية

المطلب الأول : الموقع والتسمية

مدينة ليبانت هي مدينة تقع بالقرب من المدخل الشمالي لخليج كورنت باليونان¹ الذي يقع في جنوبي البلقان بجنوب شرق أوروبا² ونظرا لوقوع المعركة بها أطلق عليها عديد التسميات في المراجع الغربية حيث تعرف باسم Lépante في المراجع الفرنسية وفي الإنجليزية بـ Lepant أما الإيطالية باسم Lepanto ويطلق عليها الأتراك " صنفين دونما سفري " أي معركة الأسطول الغارق³ وتعرف تاريخيا باسم ايني بختي In bahti والتي تعني الحظ العاثر⁴

وقعت المدينة تحت وطأة البندقية في القرن الثالث عشر ،حاول العثمانيين استخلاصها سنة 1477م على يد محمد الفاتح خلال حربه مع البندقية لكنه فشل في تحقيق ذلك⁵، وظل الأمر الى غاية سنة 1499م حيث فتحها السلطان بايزيد الثاني⁶ وأقام فيها قلعتين لحماية مدخل الخليج⁷. ولعل الناظر لموقع مدينة ليبانت التي حدثت بها وقائع المعركة يدرك أن لموقعها أهمية حربية إذ يسمح للمتحاربين باللجوء والاحتواء الى الشاطئ في حالة كانت المعركة قوية، ولقد كان الموقع عبارة عن

¹ - صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة عبد الرزاق محمد حسن بركات ،مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض، 2000، ص 47.

² - هزاع بن عيد الشمري، المعجم الجغرافي لدول العالم، ط 5، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،الرياض، 2012 ، ص 532.

³ - الشناوي عبد العزيز محمد ،الدولة العثمانية دولة إسلامية دولة مفتري عليها، ج2، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة ، 2004 ،ص 175.

⁴ - متولي أحمد فواد ، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي ، ابنراك للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2005 ، ص 281.

⁵ - بوحمشوش نعيمة،،مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر ، القافلة للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2015، ص 187.

⁶ - خليفة حاجي ، تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق وترجمة محمد حرب تسنيم حرب ،ط1،دار البشير للثقافة والعلوم ،2017،ص 77.

⁷ - بوحمشوش نعيمة ،المرجع السابق، ص 187.

الثيمة الدينية لمعركة ليبانت التاريخية

ميناء عثماني في خليج ليبانت على حافة المضيق الذي يصله بخليجي باتراس وكورنث ويقابله ساحل وميناء باتراس Lepataras والذي يعرفه العثمانيون باسم باللي بادرا¹

لقد كان بهذا الموقع العديد من الموانئ الهامة والتي كانت تحت سيطرة العثمانيين كسانت مورا الواقعة شمال خليج كورنث، ليبانتو المطل على الخليج من ساحل المورة، نافارينو المطل على البحر الأيوني ومودون المطل على خليج قورون والتي تقع بجنوب المورة².

المطلب الثاني: دوافع وأسباب المعركة :

إن الحديث عن معركة ليبانت التاريخية التي تعتبر من أبرز المواجهات البحرية التي عرفها القرن السادس عشر بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية المجتمعة والمتحالفة في إطار ما عرف بالعصبة المقدسة أو الحلف المقدس الذي دعت إليه البابوية بزعامة البابا بيوس الخامس يقودنا الى ضرورة البحث في مقدمات ودوافع هذه المعركة والتي ستظهر في التالي :

أولا : حصار مالطا سنة 1565م من قبل العثمانيين

بعد تمكن سليمان القانوني من طرد فرسان الاسبتارية من جزيرة رودس في سنة 1522م³ منحهم الملك شارل جزيرة مالطا وسمح لهم بالاقامة والاستقرار فيها، حيث عملوا على بناء قوتهم العسكرية من جديد وعززوا دفاعاتهم لمواجهة العثمانيين⁴ وبدأوا بهجماتهم على السفن الإسلامية التجارية وعلى هذا رأى العثمانيون بأن مالطا هي وكر للصوص وعش لهم⁵، ويجب التخلص منهم والقضاء عليهم، وهو ماتم في سنة 1565م بتجهيز أسطول بحري مكون من 181 سفينة وأكثر من 25000 رجل مدعمين بقوات درغوث باشا من طرابلس، حيث تم حصار مالطا لأكثر من ثلاثة شهور من 20 ماي الى 11 سبتمبر، لكن صمود المالطيين ووصول الدعم من أسطول نابولي دفع العثمانيين الى فك الحصار دون اخضاع الجزيرة⁶.

¹ - البيشي سعدية سعيد علي، الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، 1997، ص 147 148.

² - البيشي سعدية سعيد علي، المرجع نفسه، ص 147.

³ - Usher Phillip John, La Défaite Des Turcs à La Bataille de Lépanthe Des Plaquettes Populaires à La Poésie Épique, L'Esprit Créateur, vol 53, no 4, France, 2013, p51.

⁴ - قدوري زبير سلطان، دولة فرسان مالطا، مجلة الفكر السياسي، اتحاد الكتاب العرب، المجلد 20، العدد

72، سوريا، 2019، ص 94.

⁵ - وولف جون ب.، الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 78.

⁶ - مانتران روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، ج1، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر

والتوزيع، القاهرة، 1993، ص 230.

ثانيا: المساعدة العثمانية للثورة الموريسكية 1568م:

منذ سقوط غرناطة سنة 1492م حاولت اسبانيا القضاء على كل مظاهر الإسلام ببلادها و تمثل هذا في عدة قرارات كفرض التنصير الاجباري على الأندلسيين الذين لم يغادروا اسبانيا في سنة 1524م، ونتيجة لتواصل هذا الاضطهاد والتكيل بالأندلسيين طلبوا المساعدة من السلطان العثماني في سنة 1541م بعد انتصار حسن باشا على الملك شارلكان، وبتولي فيليب الثاني (1558 1598م) الحكم بعد شارلكان كان أشد أعداء المسلمين بسبب تأثير باباوات الكنيسة الكاثوليكية الطامحين لطرد وإبادة جميع المسلمين فأصدر سنة 1563م مرسوما يقضي بتحريم حمل السلاح على الأندلسيين، وفي سنة 1567م منعهم من الصوم والصلاة واستعمال اللغة العربية، ليتبعه بمرسوم في سنة 1568م يمنعهم فيه على العمل بتاريخهم أو كتابته، وهو ما جعلهم يحسون بالذل والهوان وقرروا اعلان الثورة في سنة 1568م¹، حرصت الدولة العثمانية على تقديم المساعدة والدعم اللازم لها، وذلك بأمر مباشر من السلطان سليم الثاني (1566 1574م) الذي أمر علج علي على تقديم كافة الدعم للثوار² وهو ما أدى الى قلق الملك الاسباني فيليب الثاني وسخر كل الوسائل للقضاء على هذه الثورة واعتبر العثمانيين خطر وجب القضاء عليه.

ثالثا : فتح قبرص سنة 1570م:

اعتبر فتح قبرص بمثابة السبب المباشر لمعركة ليبانت التاريخية وهذا بعد شعور الأوروبيين بازدياد الخطر العثماني اتجاههم، وبالعودة الى جزيرة قبرص فهي تعتبر ثالث أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط³ خضعت للبنادقة منذ سنة 1489 م وأقبضوا حكمها الى غاية 1570م حيث تمكن العثمانيون من فتحها⁴، ويرجع هذا الى الخطر الذي شكلته الجزيرة التي اتخذها قراصنتها كقاعدة للقيام بالهجوم على السفن العثمانية فرأت الدولة العثمانية ضرورة وضع حد لهذه الهجمات خاصة بعد تعرض سفينة المسؤول عن الأمور المالية في مصر للنهب⁵، فسيرت حملة بقيادة لالا مصطفى باشا وشارك بيالة باشا

¹ - تومي طاهر ،علاقات الايالات المغاربية العثمانية مع اسبانيا ما بين 1520 1792م ، رسالة دكتوراه،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة جيلالي اليابس،سيدي بلعباس،2019،ص 172 174 .

² - التميمي عبد الجليل ،الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية الموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1989، ص 18.

³ - Biddulph Robert, cyprus proceedings of the royal geographical society and monthly record of geography, vol 11, no 12, 1989, p705.

⁴ - الزناتي عبد الوهاب محمد ،قبرص من معاوية الى أجاويد 648. 1974م ،دار غربي للنشر والتوزيع ،القاهرة، 2002، ص

⁵ - خليفة حاجي ،المرجع السابق، ص 153.

الثيمة الدينية لمعركة ليبانت التاريخية

بقيادة القوات البحرية، وتمت السيطرة على العاصمة لفقوسة في 09 سبتمبر 1570م بعد حصارها لمدة 51 يوما وبعدها رضخت المدن الواحدة تلو الأخرى، ماعدا فماغوستة التي استمر حصارها عاما حتى سقطت في 04 أغسطس 1571م،¹ وبهذا صارت قبرص ايلة عثمانية وانتهى حكم البندقية فيها، ويبدو أن خضوعها للحكم العثماني كان أمرا منطقيا بحكم أن منطقة شرق المتوسطي كانت بيد العثمانيين² وبهذا أدى الفتح العثماني الى طلب البندقية المساعدة من البابا واسبانيا بغية التصدي للسلطة العثمانية³ مما يدل على أن هذا الفتح كان له تأثير كبير في الدول الأوروبية ومعها الكنيسة الكاثوليكية ونتيجة لظهور الحلف المقدس الذي سيكون برعاية البابوية المسيحية.⁴

المبحث الثاني : البابوية ودورها في معركة ليبانت

المطلب الأول : البابا بيوس الخامس وجهوده في تشكيل الحلف المقدس

لعب البابا بيوس الخامس (1504 1572م) دورا هاما في عقد حلف عسكري يوحد القوى المسيحية الأوروبية ضد الدولة العثمانية وذلك منذ انتخابه في 16 جانفي 1566م كبابا للكنيسة الكاثوليكية⁵، حيث كان يرى بأن القيام بضربة عسكرية ضد العثمانيين يؤدي الى توحيد أوربا مرة أخرى⁶ فكان البابا بيوس الخامس خلال هذه الفترة شخصية قوية وبارزة استطاع القيام بدور الموحد والجامع الروحي لجميع المسيحيين ويظهر هذا في دعوته للملوك الأوروبيين الى ضرورة توحيد القوى مع بعضهم البعض لمواجهة العثمانيين والوقوف أمامهم ودليل ذلك ماحوته الرسالة التي أرسلها للملك الاسباني في 08 مارس 1570م والتي جاء فيها بأن الامبراطورية العثمانية قامت بتوسعات كثيرة وبسبب جبننا أصبحنا غير قادرين على اعتراضها ولذلك يجب على الأمراء المسيحيين الاتحاد من اجل تكوين قوة برية وبحرية لمجابهتها.⁷

ويظهر أن المحرك الديني هو الذي سوف يكون وراء التحالف ضد العثمانيين وهو ما أدركه البابا بيوس الخامس وعمل على اثارته حيث كان يرى في أنها حرب صليبية بين الهلال والصليب⁸ وعمل على

¹ - متولي أحمد فؤاد، المرجع السابق، ص 280.

² - Straub, J, How Cyprus Came under Turkish Rule A Conquest and the Historians, Wiener Zeitschrift Für Die Kunde Des Morgenlandes, vol 82, 1992, p 325.

³ - الرائي ادريس الناصر، العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر، ط1، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت، 2007، ص 83.

⁴ - سي يوسف محمد، قلج علي ودوره في البحرية العثمانية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، 1988، ص 115 .

⁵ - بومشوش نعيمة، المرجع السابق، ص 187.

⁶ - المفتي عبد العزيز، الكنيسة والإسلام والسياسة، دار آمنة للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، ص 222.

⁷ - Djuvara.T.G, cent projets de partage de la turquie, librairie felix alcan, paris, 1914, p99.

⁸ - Markria souhila , Lepanto un encuentro de máxima rivalidad entre Felipe II y el mundo osmanlí, oussour al Jadida , université oran 1 ahmed ben bella , vol7, no 27, 2017., p303.

الثيمة الدينية لمعركة ليبانت التاريخية

على تجسيد كل ذلك من خلال الحلف المقدس¹ لهذا نجده قد قام بجهد كبير منذ فتح جزيرة قبرص سنة 1570م لتوحيد الأوربيين² وهذا بتوجيه نداءات متكررة داعية لمواجهة العثمانيين مبديا فيها تعصبه الديني وحقده الصليبي الدفين باقناع الأوربيين بأن الدولة العثمانية ستهدم المسيحية شيئا فشيئا بفعل قوتها واعتدائها على الأراضي المسيحية³ وهو ماتم له فعلا بتكوين العصبة المقدسة.⁴

المطلب الثاني : تكوين الحلف المقدس

الحلف كما هو معروف هو عبارة عن معاهدة تبرم بين دولتين أو أكثر بغية التعاون المشترك لدفع أي اعتداء وذلك من خلال العمل الجماعي⁵، وقد تمثل هذا فيما قام به البابا بيوس الخامس من خلال الحلف المقدس الذي كان بين البندقية وإسبانيا وفرنسا ومارما وذلك في 25 ماي 1571م في كاتدرائية سان بيار القديس بطرس⁸ وتسلم فيه الدون جوان النمساوي قيادة أسطول الحلفاء⁹ ويبدو أن أهداف الدول المشاركة في الحلف كانت متباينة فكل منها أهدافه وأغراضه ومصالحه ، وبالرغم من هذا فقد جمعها هدف واحد هو القضاء على القوة العثمانية وتحطيمها، فنجد إسبانيا كانت متخوفة من الزحف العثماني وتوسعه في شواطئ البحر المتوسط وهذا منذ مطلع القرن السادس عشر رغم كل محاولاتها لصد هذا التوسع ، ضف الى ذلك ما قام به المورييسكيون مابين 1568 و1570م ومحاوله إسبانيا القضاء على مسلمي الأندلس حتى لا يتم تهديد المسيحية في عقر دارها، كما شكل سقوط قبرص

¹- Siredward .s,creasy,histoir of the ottoman turks,henry holt and company,newyork,1878,p218.

²- حسون علي ،تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية ،ط3،المكتب الإسلامي،بيروت ،1994،ص 125.

³- وولف جون ،المرجع السابق ،ص 86.

⁴- طقوش محمد سهيل ،التاريخ الإسلامي الوجيز ،ط5،دار النفائس للنشر والتوزيع،بيروت،2011،ص 370.

⁵- مزغني خيروم بدر الدين ،دور الأحلاف العسكرية في حفظ الأمن الجماعي الدولي وفقا لميثاق الأمم المتحدة ،مجلة العلوم العلوم القانونية والسياسية ، العدد 08، جانفي 2018، جامعة الوادي ، ص 93.

⁶- أحمد صالح علي محمد ،في أصول التاريخ العثماني دراسة لعصر السلطان سليم الثاني (1566 1574) ،دار تواصل للطبع والنشر والتوزيع،القاهرة،2022،ص 153.

⁷- الذهبي نفيسة ، الدولة العثمانية في مجالها المتوسطي خلال القرن 16م بين استراتيجية الجهاد وصراع الهيمنة (كتاب جماعي)، عبد الرحمان المودن عبد الرحيم بنجادة ،العثمانيون والعالم المتوسطي ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،الرباط،2003،ص 88.

⁸- البيشي سعاد سعيدي علي ، المرجع السابق،ص 135.

⁹- ديل شارل، البندقية جمهورية أرستقراطية،تعريب أحمد عزت عبد الكريم ، توفيق إسكندر ،المعارف ،القاهرة، 1890، ص

الثيمة الدينية لمعركة ليبانت التاريخية

في يد العثمانيين تخوفا اسبانيا كبيرا من الاستيلاء على إيطاليا، أما البابوية والبندقية فقد كانا يتمنيان توجيه هذا الحلف ضد العثمانيين في الجهة الشرقية من المتوسط، خاصة وأن البابوية كانت ترغب أن تظل البندقية بمثابة الحاجز المسيحي الذي يحمي أوروبا من الخطر العثماني وبهذا استطاع البابا بيوس الخامس رغم الاختلاف بين اسبانيا والبندقية أن يجمع بينهما.¹

كما اعتبرت البندقية أن النمو المتزايد للقوة العثمانية أصبح خطرا عليها لهذا وجدت في البابا بيوس الشخصية القادرة على توحيد المسيحيين حتى لاتمتد السيطرة العثمانية الى إيطاليا إضافة الى رغبتها في استعادة قبرص، أما جنوة فيرجع اشتراكها في هذا الحلف الى تضررها الاقتصادي وفقدانها لمستعمراتها آخره جزيرة خيوس وخوفها من التقدم العثماني الحربي، وأما فلورنسا فإن تحول طرق التجارة واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح أضرب بها كثيرا وهو مادفعها للمشاركة في الحلف لتعويض خسارتها إضافة الى ارتباطها الروحي بالبابوية، وشاركت دوقية سافوي نتيجة لضعفها وحفاظا على مصالحها وموقعها وهذا لسيطرتها على الممرات الجبلية الواقعة بين فرنسا وإيطاليا خاصة وأنه في حالة الانتصار ستحظى بمكاسب وطرق جديدة² وشارك فرسان مالطا في هذا الحلف لعدة أسباب منها طردهم من جزيرة رودس وماشكلة من وقع كبير في أوروبا³ والهجمات العثمانية المستمرة على مالطا⁴ وسقوط قبرص في يد العثمانيين.⁵

ولهذا فبالرغم من تباين الأهداف واختلافها إلا أن الهدف كان واحدا هو مجابهة العثمانيين والقضاء على قوتهم البحرية⁶، ولهذا جاء في 25 ماي 1571م تاريخ انشاء الحلف المقدس في بنده الأول أن البابا بيوس الخامس وملك اسبانيا فيليب الثاني وجمهورية البندقية يعلنون الحرب على العثمانيين وهذا لاسترجاع كل المناطق المسيحية التي استولوا عليها بما في ذلك تونس والجزائر وطرابلس⁷، وبميلاد الحلف المقدس بزعامة البابا بيوس تهيأت كل الظروف وبدأت تظهر مؤشرات الصدام البحري بين

¹ - البيشي سعدية سعيد علي، المرجع السابق، ص 123 124 125.

² - البيشي سعدية سعيد علي، المرجع نفسه، ص 139 140 141.

³ - Soucek, Svatopluk. „Navals Aspects of the Ottoman Conquests of Rhodes, Cyprus and Crete, Studia Islamica, no. 98/99, 2004, p 219.

⁴ - Brown Kevin A, The Siege of Malta, 1565, American International Journal of Social Science Science , Vol. 8, No. 2, June 2019, p 18.

⁵ - Guilmartin John F, Ideology and Conflict: The Wars of the Ottoman Empire, 1453-1606 Guilmartin The Journal of Interdisciplinary History, vol. 18, no. 4, 1988, p 741.

⁶ - العسلي بسام، الجزائر والحملات الصليبية 1547 1791، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980، ص 35.

⁷ - Djuvara.T.G, opcit, pp 102 103.

العثمانيين والعالم المسيحي في معركة ليبانت التي ستكون منعرجا كبيرا في تاريخ الصراع الإسلامي المسيحي.¹

المبحث الثالث : الاستعدادات للمعركة

المطلب الأول : الحلف المسيحي المقدس

بعد أن تجمع الأوروبيون وتوحدوا تحت لواء الحلف المقدس بزعامة البابا بدأت الأساطيل المسيحية تحتشد في مسينا² لها وفيها عقد المتحالفون مجلسا حربيا انقسموا فيه الى فريقين أحدهما يرى عدم مهاجمة العثمانيين بسبب عدم جاهزية الأسطول المسيحي ونقص المؤونة والجنود وعدم ملائمة الملاحه لسوء الأحوال الطبيعية ،وهو ما قد يؤدي الى تحطيم وحدات الأسطول، وفريق ثاني يرى بأنه يجب مواجهة العثمانيين فوراً واغتنام الفرصة في ظل عطب الكثير من سفن أسطولها وتعب معظم رجالها بسبب قضائهم أكثر من ستة أشهر كاملة بالبحر، وهو ما سيسمح بالقضاء على الأسطول العثماني بكل أريحية، وفي الأخير تم الاتفاق على الأخذ بالرأي الثاني وأصدر الدون جوان النمساوي الذي عين كقائد للأسطول المسيحي الأمر بالاستعداد للتوجه نحو كورفو القريبة من السواحل اليونانية لمقاتلة العثمانيين.³

وتجدر الإشارة هنا الى أن الأسطول المسيحي قد تألف من السفن الاسبانية وعددها سبعون سفينة وكانت تحت قيادة الأميرال دون جوان ، وسفن البابا بقيادة الأميرال مارك أنطوان وعددها 12 سفينة ،بالإضافة الى 08 سفن صقلية بقيادة الأميرال جان دو كوردو، وعمارة البندقية المكونة من 108 سفينة بقيادة الأميرال ونبيرو والتي كانت تضم في صفوفها ست سفن من نوع الغليون ذات المدافع الكبيرة⁴، و 06 سفن مالطية و 03 جنوية و 03 سافوائية.⁵ وبهذا بلغ الأسطول المسيحي مابين 208 و 210 سفينة.⁶

¹ - فيلالي كمال ، تاريخ المغرب الحديث (من فتح القسطنطينية الى سقوط قسنطينة 1453 1837 م) ، دار الكسندر

للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، ألف ادوك ، قسنطينة، 2018، ص 205.

² - بيرينجييه جان وآخرون ، موسوعة تاريخ أوربا العام منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن

عشر، ج2، ط1، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت، 1995، ص 351.

³ - بوحمشوش نعيمة ، المرجع السابق، ص 192.

⁴ - الدغيم محمود السيد ،أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، 1994،

ص 406 407.

⁵ - أوزوتا يلماز ، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري (269 1341 هـ / 1231 1922 م)

(، ترجمة عدنان محمود سلمان ،مراجعة وتنقيح محمود الأنصاري ، مج 2، ط1، الدار العربية للموسوعات بيروت، 2010، ص

372.

⁶ - بوحمشوش نعيمة ، المرجع السابق، ص 201.

الثيمة الدينية لمعركة ليبانت التاريخية

وصل الأسطول المسيحي الى كورفو في 26 سبتمبر 1571م بقيادة الدون خوان وفي 05 أكتوبر كان على سواحل جزيرة سيفالوني بالقرب من خليج ليبانت¹ وفي 07 أكتوبر تقدموا نحوها متجاوزي جزيرة أوكسيا وبهذا تمكنوا من الدخول لخليج ليبانت لمواجهة العثمانيين² حيث قام الدون خوان بتعييناندرى دوريا على رأس الجناح الأيمن وجعل الجناح الأيسر بقيادة القائد البندقي بربريجو استعدادا وتحضيرا للمعركة³.

المطلب الثاني : الاستعدادات العثمانية

لقد تمكنت الدولة العثمانية بفضل مخبريها في كل من البندقية وروما أن تكون على اطلاع بشأن هذا الحلف من البداية الى النهاية، فقد كان الصدر الأعظم صوقلي باشا على علم بالمفاوضات الأوربية وبمختلف آرائهم والتجهيزات المختلفة التي رصدتها هذه الأخيرة من حيث التكاليف والسفن وحتى المسؤوليات العسكرية أيضا⁴، ولذلك فبمجرد وصول المعلومات الى الاستانة بالتحضيرات المسيحية شرع العثمانيون على التحضير والاستعداد للمواجهة ، وكانت البداية بمراسلة حكام الايالات العثمانية ودعوتهم الى ضرورة القيام بالتحضيرات اللازمة كالأمر الذي تلقاه علج علي في 02 ذو القعدة 978هـ يدعو الى الانضمام الى الأسطول العثماني⁵.

وباقتراب الأسطول المسيحي من منطقة تواجد السفن الإسلامية في 04 أكتوبر 1571م من منطقة تواجد السفن الإسلامية تم عقد مجلس حربي للتشاور حول إمكانية مواجهة الأسطول المسيحي أو الانسحاب أو تأجيل المواجهة لفرصة أخرى⁶، وقد اجتمع قادة الأسطول العثماني على ظهر سفينة القبودان الأكبر مؤذن علي باشا وحضر الاجتماع كل برتو باشا وعلج علي بايلرباي الجزائر وباي طرابلس الغرب جعفر باشا وحسن بن خير الدين ومعهم خمسة عشر بايا⁷ وبعد التشاور اتفق الجميع على الدفاع وهم داخل الخليج نتيجة للنقص في عدد السفن وقلة التجهيزات، لكن القبودان لم يقبل منهم ذلك ولكونه القائد العام التزم أعضاء المجلس بالقرار، رغم طلب علج علي منه بضرورة محاربة العدو على

¹ - سي يوسف محمد ،المرجع السابق،ص 122.

² - بوحمشوش نعيمة ، المرجع السابق، ص 203.

³ - Jurien de la Gravière, la guerre de chypreet la bataille de lépant , librairie plon, paris, 1888, p 64.

⁴ - البيشي سعدية سعيد علي ،المرجع السابق، ص 387.

⁵ - فكاير عبد القادر ،دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571م ،مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ،العدد 09، معسكر، ديسمبر 2014، ص 417.

⁶ - بوحمشوش نعيمة ، المرجع السابق، ص 193.

⁷ - سرهنك إسماعيل ،حقائق الأخبار عن دول البحار ،ج1، ط1، المطبعة الأميرية ،مصر ،1316، ص 559.

الثيمة الدينية لمعركة ليبانت التاريخية

بعد من البر حتى تتمكن السفن من التحرك بكل سهولة لكنه رفض أيضاً¹، وصمم على الخروج للمعركة وقد نظم قواته من الشمال للجنوب حيث كانت الجهة اليمنى تستند لمرفأ ليبانت واليسرى في عرض البحر، وجعل سيروكوه في قيادة الجهة اليمنى وعلج علي في الجهة اليسرى وجعل نفسه في القلب.² ويبدو أن تشكيل القوة البحرية العثمانية فيه اختلاف كبير فهناك من يذكر أنها بلغت 243 سفينة³ وهناك من يرى انها بلغت 300 سفينة⁴ حربية لكن الراجح أنها تجاوزت 230 سفينة وبلغ عدد الجنود 24000 مقاتل و 13000 بحار و 750 مدفعاً.⁵

المطلب الثالث : وقائع المعركة

اكتملت كل الظروف للمواجهه الحربية البحرية بين الدولة العثمانية والحلف المقدس الذي تشكله الدول الأوروبية ، وبحلول 07 أكتوبر 1571م أعطى القائد العام للأسطول العثماني أوامره بخروج السفن من الخليج قبل الزوال ،حيث كانت سفن الحلف راسية بجوار جزيرة كارزولاري بمدخل باتراس موقع المعركة⁶ الفاصلة حيث قيل عن الأسطولين المشكلين للمواجهة البحرية بأن البحر كان مغطى بغابة من الصوار ،ويظهر كأنه يرزخ تحت ثقلها⁷ ،بعد اصطفاف الأسطولين شرع كل طرف في تعبئة وتشجيع جنوده وقادته ،حيث قام وكلاء البابا بمنح البركة للرايات الصليبية وتعالق أصوات الجنود وقادتهم بترانيمهم وهنا صاح الدون خوان بصوت عالي قائلاً أنها معركة الصليب.⁸

لقد كان الأسطولان على أهبة الاستعداد وكل طرف يقابل الطرف الآخر فكانت القوات العثمانية من الجهة الشرقية بينما الأسطول المسيحي من الجهة الغربية⁹ ،حيث قسم علي باشا أسطوله في شكل نصف نصف دائرة بالجانب الداخلي لخليج ليبانت وكان طرفاها من البعد بينهما يلامسان الشاطئ ،أما دون

¹ - الدغيم محمود السيد ، المرجع السابق ، ص 407.

² - رضوان نبيل عبد الحي ، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث ،رسالة دكتوراه،جامعة ام القرى،مكة ،1918،ص 282.

³ - حسون علي ،المرجع السابق،ص 126.

⁴ - نيكولايفانوف ،الفتح العثماني للأقطار العربية 1517 1574 ،ط1، نقله الى العربية يوسف عطا الله ،مراجعة مسعود ضاهر ،دار الفارابي، بيروت،1988،ص 244.

⁵ - أحمد رمضان أحمد، تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط العصر الوسيط (35هـ - 655م / 978هـ - 1571م)، (هيئة الآثار المصرية ، مصر ،1985،ص 45.

⁶ - سرهنك إسماعيل ،المرجع السابق،ص 559.

⁷ - سي يوسف محمد ،المرجع السابق،ص 125.

⁸ - البيشي سعدية علي ،المرجع السابق،ص 176.

⁹ - أحمد رمضان أحمد ،المرجع السابق،ص 46.

الثيمة الدينية لمعركة ليبانت التاريخية

خوان فقد وضع سفن البندقية الستة في المقدمة مكونا بها نصف دائرة حيث كانت كل منها تحمل ستين مدفعا قادرة على اختراق أي جانب من السفينة لقد كانت بمثابة مدرعات حربية¹، وبإطلاق طلقة المدافع بدأت المعركة واصطدم الأسطول العثماني بالصليبي²، حيث استغل العثمانيون الفرصة بهبوب الرياح الجنوبية الشرقية المواتية لهم وأمر علي باشا بالهجوم على صدر الأسطول المسيحي وهو ما أدى الى ضعضة قلب الأسطول المسيحي وأصيب الدون خوان وتم الاستيلاء على عدد من السفن لكن توقف الرياح أدى الى توقف السفن العثمانية وأعاق تقدمها وهو ماسمح للأسطول المسيحي باسترجاع أنفاسه واستجماع قواه من جديد.³

وهذا ما يظهر اندهاش العثمانيين لحظة اقترابهم من الأعداء حيث كان رجال المدفعية على أهبة الاستعداد لقصفهم بالإضافة الى رماة البنادق الموجودين على طرفي السفن لضرب أسطح السفن التي تكون في مرماهم، وعند الظهر فتحت سفن البنادق في الجناح الأيسر والقلب النار فجأة على المراكب الإسلامية وكانت ذات مفعول سريع، وهو ما نتج عنه فشل الهجمة العثمانية وبعثرت سفنها في مقابل تقارب سفن العدو واستمرارها في اطلاق نيرانها واقتحام السفن العثمانية، ورغم هذا فقد دافع العثمانيون دفاعا بطوليا ففي الجهة اليسرى سقطت سفينة بريغو أميرال البندقية تحت كلابيب مركب الإسكندرية بقيادة محمد سيركوه، وكادت أن تؤدي بحياته لولا نجده وشنه لهجوم معاكس وقعت فيه معركة كبيرة أدت الى وفاة محمد سيركوه، ما أدى الى تغير في موقف العثمانيين فانسحب بعضهم وترك الآخر سفن تتجه البر، واستمر الآخرون في القتال حتى استشهدوا في المعركة، وقد استغل جنود الأساطيل المسيحية هذا المر وقاموا بهجوم كاسح على الأسطول العثماني حرروا من خلاله الكثير من الأسرى.⁴

قرر علي باشا القيام بهجوم فاصل يحقق من خلاله النصر وكان مدعوما بالقادة، حيث تقدم من سفينة قيادة العدو التي كان على متنها الدون خوان تبادل الطرفان اطلاق النارو تمكن من احداث ثغرة

¹ - وولف جون، المرجع السابق، ص 88.

² - ألتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والنشر، بيروت، 1989، ص 231.

³ - البيشي سعيدة سعيد علي، المرجع السابق، ص 177.

⁴ - شوسوا روبيير، المعارك البحرية الكبرى في التاريخ، ترجمة عبد الرحمان حميدة، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، 1984، ص العسكرية، دمشق، 1984، ص 40 41.

الثيمة الدينية لمعركة ليبانت التاريخية

فيها مما أدى الى تحطم أجزائها¹، وتحول الصدام بين القوتين الى معركة دموية استعملت خلالها جميع الأسلحة البرية والبحرية على حد السواء فكانت السهام والخناجر والسيوف ومعها البنادق والمدافع.² وبعد ثلاث ساعات من المعركة انهزم جيش الميمنة والوسط من الأسطول العثماني، حيث قتل القائد العام للأسطول ومحمد شولوك قائد الميمنة وتحولت المعركة الى المجابهة سفينة بسفينة، وبينما كان القتال في غير صالح المسلمين على الجبهة اليمنى والوسطى، كانت الجبهة اليسرى بقيادة علج علي تأخذ منحى آخر حيث استغل علج علي فرصة ابتعاد دوريا عن بقية الأسطول المسيحي³ الذي كان قلقا من قوة الجناح الأيسر بقيادة علج علي وعدم قدرته على مجابهته وقام بالانسحاب مما احدث ثغرة⁴ مكنت علج علي من مهاجمة السفن المالطية واستولى فيها على راية سفينة القيادة بعدها حاول التحرك الى قلب المعركة بحذر شديد خوفا من حصاره وبوفاة علي باشا تولى قيادة الأسطول ولما حسمت المعركة في جهتيها اليمنى والوسطى أدرك مخطط المسيحيين الذين جمعوا صفوفهم بغية حصاره وأسرع بالانسحاب خارج المعركة الى جزيرة سانتا مورا وأشرف على تجميع الأسطول الإسلامي قبل التوجه لأسطنبول،⁵ وبهذا كان علج علي الوحيد من القادة الذي استطاع الخروج من المعركة والنجاة منها.⁶

وبالرجوع الى انهزام الأسطول العثماني فقد تضافرت في ذلك العديد من العوامل منها :

- قوة السفن المسيحية خاصة سفن البندقية الستة التي كانت مجهزة تجهيزا جيدا بالمدفعية حيث كانت أفضل بكثير من السفن العثمانية، بالإضافة الى الأسلحة المستعملة من قبل الجنود العثمانيين كالأقواس عكس المسيحيين الذين كان يرتدي غالبيتهم دروع شخصية تحميهم من ضربات السيوف ومسلحين بأسلحة نارية خاصة الدور الذي قام به الجنود الاسبانيين.⁷
- عدم الأخذ بنصيحة علج علي من قبل القائد العام للأسطول علي باشا حيث كان يفضل خروج السفن الى عرض البحر مما يسمح لها بالمناورة، وحتى لا تتحصر في مكان ضيق، وتسبب عدم

¹- البيشي سعية سعيد علي ، المرجع السابق، ص 180.

²- أحمد رمضان أحمد ، المرجع السابق، ص 47.

³- فكاير عبد القادر ، المرجع السابق، ص 418.

⁴- نورويش جون جولوس نورويش، الأبيض المتوسط تاريخ بحر ليس كمثل بحر، ترجمة طلعت الشايب، ط1، المركز القومي

للتريجة، القاهرة، 2015، ص 392.

⁵- فكاير عبد القادر ، المرجع السابق، ص 419.

⁶- وولف جون ، المرجع السابق، ص 90.

⁷- Braudel Fernand, la mediterranee et la monde méditerranéen à l'époque de philippe 2, tom 2, edition 6, armand colin , paris, 1985, p 396.

الأخذ برأيه تمكن السفن المسيحية برمي السفن الإسلامية واحراق العديد منها.¹ وخلفت بهذا الهزيمة زعزعة السيطرة التي كانت عليها البحرية العثمانية منذ سنة 1538م.²

المبحث الرابع : معركة ليبانت الأبعاد والانعكاسات

المطلب الأول: نتائج المعركة

لقد كانت النهاية التي أسفرت عليها معركة ليبانت مؤلمة فلقد وصفت بأنها معركة دموية تجلى فيها الحقد والكره الشديد بين المحاربين³ حتى تلون فيها البحر بلون الدماء⁴ وبالنسبة للعثمانيين فقد كانت بمثابة كارثة نتج عنها تحطم غالبية وحدات الأسطول، ولم يسلم منها الا القليل كما عرفت المعركة موت عدد من كبار والقادة البحريين، وبالرغم من سرعة بنائها للأسطول بعد الهزيمة فيما بعد إلا أنها لم تستطع تعويضهم بسبب فقدانها أمهر البحارة المتمرسين في الشؤون البحرية.⁵

ويبدو أن الخسائر العثمانية كانت كبيرة حيث بلغ عدد القتلى أكثر من ثلاثين ألفا قتيل بخلاف ما أسر من جنود الذين قطعت رؤوسهم وعُلقت على صواري السفن انتقاما⁶، كما تم الاستيلاء على 130 سفينة وحرقت واغراق 94 أخرى وغنمت الدول المسيحية 300 مدفعا و 3000 أسير.⁷ أما بعض الكتابات الغربية قدرت الخسائر العثمانية على النحو التالي 30000 قتيل و 8000 أسير وتحرير 12000 مسيحي وفقدان 190 سفينة حسب بول شاك، أما بحسب ماكسونج فقد بلغ عدد القتلى بين 25 و 30 ألف قتيل واحتجاز 210 سفينة وتحرير 15000 أسير وأسر 3846 مسلم⁸، أما ايفانوف فيذكر

¹ - فكاير عبد القادر، المرجع السابق، ص 420.

² - أوغلي اكمل الدين احسان، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مج1، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، 1999، ص ص 44 45.

³ - E.Hamilton Currey.R.N, sea wolves of the Mediterranean the grand period of the moslem corsairs, new York, e.p dutton and company, 1910, p 362.

⁴ - Braudel Fernand, opcit, p 395.

⁵ - الشناوي عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها، ج2، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 2004، ص

174.

⁶ - حليم ابراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية (التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية)، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988، ص 100.

⁷ - المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق احسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981، ص 257.

⁸ - فكاير عبد القادر، المرجع السابق، ص 419.

الثيمة الدينية لمعركة ليبانت التاريخية

أنه تم قتل وجرح 30000 مسلم وأسر ما بين 3 و 4 آلاف مسلم¹ بينما برودال فيذكر أن القتلى بلغوا 30000 قتيل و 3000 أسير وتحرير 15 ألف سجين.²

وأما من جهة قوات الحلف فقد قتل منهم 8000 قتيل وجرح 20000 جريح وعدد قليل من الأسرى وكانت أغلب السفن مصابة وكان من بين المصابين ميغال سيرفانتيس كاتب دون كيشوت الذي فقد ذراعه اليسرى خلال المعركة³ ويؤكد بروديل أن عدد الجرحى قد بلغ 21000 وفقد المسيحيون 10 سفن.⁴

وتفاوتت ردود الأفعال بعد المعركة فلما بلغ الخبر للقسطنطينية ثار المسلمون وكادوا يقتلوا المسيحيين لولا حزم الوزير صقلي وتدخله ومنع وقوع ذلك⁵، بينما في الجهة المقابلة احتقلت أوربا بهذا النصر خاصة وأنه لأول مرة منذ القرن الخامس عشر يهزم العثمانيون.⁶

المطلب الثاني : تأثيرات المعركة وانعكاساتها

اعتبرت معركة ليبانت من المعارك الهامة خلال العصر الحديث نتيجة لما خلفته من انعكاسات في تاريخ العلاقات بين العالم المسيحي والعالم الإسلامي خلال هذه الفترة ويظهر ذلك في :
- اعتبر الحلفاء هذه المعركة من أمجادهم الحربية حيث فرح المسيحيون بهذا النصر الذي حققوه باعتبارهم انتصروا على الاسلام، وتأكيذا على هذا هو قيام البابا بإلقاء خطابا في كنيسة القديس بطرس بروما والذي عبر فيه عن امتنانه للدون جوان على انتصاره على المسلمين⁷ ولم يتوقف الأمر الأمر عند هذا الحد بل دعا البابا الى تشكيل أسطول بحري آخر لمحاربة العثمانيين وخراجهم من أوربا نهائيا،⁸ والعمل على التخطيط لاستهداف شمال افريقيا وتوسيع النفوذ الأوربي الى غاية مصر وسوريا.⁹

¹ - نيكولايفانوف، المرجع السابق، ص 244.

² - Braudel Fernand, opcit, p 396.

³ - اوزوتا يلماز ، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة وتقيق محمد الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتعليم ، تركيا، 1988، ص 374.

⁴ - Braudel Fernand, opcit, p 396.

⁵ - العطار عدنان ، الدولة العثمانية من الميلاد الى السقوط ، ط1، دار وحي القلم، سوريا، 2006، ص 70.

⁶ - مصطفى أحمد عبد الرحيم ، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، مصر، 1993، ص 147.

⁷ - المحامي محمد فريد بك، المرجع السابق، ص 257.

⁸ - الدعيم محمود السيد ، المرجع السابق، ص 411.

⁹ - Braudel Fernand, opcit, p 397.

-استمرار جهود البابا بيوس الخامس في محاولته القضاء على الدولة العثمانية مستغلا هذا النصر بتكثيف جهوده على كل الجبهات فقام بارسال كتاب الى دوق حاكم جنوة بتاريخ 16 كانون الأول 1571م جاء فيه بأن العدو وبالرغم مما أصابه من ضعف لن يتوقف، لذا يجب علينا أن نبقي متمسكين باتحاد وثيق لدفع خطرهم والوقوف في وجههم كما حاول الحصول على تأييد المسلمين الذين على خلاف مع العثمانيين فأرسل الى شاه ايران طهماسب في 16 تشرين الثاني 1571م برسالة تضمنت دعوة الى تقبل النصر ويحثه على أن الفرصة مواتية له لمهاجمة العثمانيين، ولم يتوقف عند هذا الحد بل أرسل بطلب المساعدة الى كل من ملك الحبشة وأمير مكة.¹

- وإدراكا منه لقيمة علاج علي حاول الاتصال به ومحاولة اغراءه، وكان هدفه من كل ذلك هو زرع الشك لدى السلطان العثماني اتجاهه لأنه يعلم بأنه كان السند القوي له في تلك الفترة²، وهذا ما تظهره وصية البابا الى ملك اسبانيا فيليب الثاني مخاطبا إياه قائلا : " اذا لم توفق بهذه الخطة فعلى الأقل إنها ستخلق الشك لدى السلطان سليم الثاني وتعرقل العمل لدى الأميرال المشهور المكلف بإدارة وتسيير الأسطول العثماني" ³ لكنه لم يستطع الوصول لهدفه وفشل في تحقيقه.

- أما بالنسبة للدولة العثمانية فبعد نهاية المعركة عاد علاج علي الى إسطنبول واستقبل المنتصرين رغم مرارة الهزيمة من قبل السكان والسلطان شخصيا ،وقام بتعيينه في منصبه الجديد قبطان باشا وبها اطلق عليه قلج بدلا من علاج والتي معناها السيف⁴، وباستمرار المحاولات من أجل القضاء على الدولة عكف قلج علي على إعادة بناء الأسطول المحطم فقد جلب الرياس من الجزائر ووزعهم على ورشات البناء وتمكن من انشاء أسطول جديد تم فيه تحسين أسلحته والاستغناء عن الأقواس وتعويضها بالبنادق⁵، وتدعيمه بكل ما يحتاجه من الرجال والعدة وكان كل هذا بعد بضعة أشهر من معركة ليبانت ،وبالتالي فإنه يمكن القول بأن النصر المسيحي لم يؤدي الى القضاء على البحرية العثمانية ولم يأتي بأي مكسب بري أو بحري آخر بعد المعركة⁶، وهذا يدل على أن الخسارة

¹ - برجايوي سعيد أحمد ،الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، الأهلية للنشر والتوزيع ،بيروت، 1993، ص 138.

138.

² - بوحمشوش نعيمة ،المرجع السابق، ص 218.

³ - التر عزيز سامح ،المرجع السابق، ص 233.

⁴ - فارس محمد خير الدين ،تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، ط1، مكتبة دار

الشرق، بيروت، 1969، ص 50.

⁵ - Grammont H.D.De ,histoire d'alger sous la domination turque(1518-1830),ernestleronx,paris,1887,p110.

⁶ - البرجايوي سعيد ،المرجع السابق، ص 138 139.

العثمانية لم تكن مادية بقدر ما كانت معنوية¹، وهذا ما يؤكد وولف بقوله ان الانتصار المسيحي في ليبانت كان نسفا للسمعة العثمانية.²

- بعد بضعة أشهر من المعركة خرج الأسطول العثماني في صيف 1572 في نحو 250 سفينة مجهزة بكامل العدة والعتاد ،ولقد كان من أثر ذلك هو انسحاب البندقية من الحلف المقدس، خاصة بعد وفاة البابا بيوس الخامس سنة 1572م وحدوث خلافات بين اسبانيا والبندقية ،فقدت هذه الأخيرة معاهدة صلح مع الدولة العثمانية في 07 مارس 1573م تخلت فيها عن قبرص بشكل نهائي³، ودفعت غرامة مالية قدرها 300 ألف دوقا.⁴ وعلى اثر توقيع هذه المعاهدة رفض البابا غريغوريوس الثالث عشر مقابلة سفراء البندقية مبدئيا عدم موافقته على هذه المعاهدة⁵، أما إسبانيا فبعد فبعدها فشلت في جذب الأسطول العثماني في صيف 1572م قامت بمحاولتها الأخيرة وهي احتلال تونس 1573م لكن ذلك لم يستمر طويلا واسترجعتها الدولة العثمانية في سنة 1574م ،وهو مادفعها الى العمل على عقد هدنة مع العثمانيين وهو ماتوج بعقد معاهدة في سنة 1580م⁶ وتم تجديدها في سنوات 1584م و 1587م⁷. وهو ماسوف يؤدي الى حدوث توازن بين العالم الإسلامي والمسيحي والى تباعد الدولة العثمانية واسبانيا عن بعضهما.

الخاتمة:

بعد تناولنا لهذه الورقة البحثية الخاصة بالثيمة الدينية لمعركة ليبانت توصلنا الى عدة نتائج نوردها في التالي:

- منذ فتح القسطنطينية في سنة 1453م ظهرت الدولة العثمانية كقوة كبيرة مثلت فيها العالم الإسلامي ،ودافعت فيه عن حيث تقدمت نحو القارة الأوربية واستطاعت أن تحقق عليها النصر تلوى الآخر وهو الأمر الذي أثار مخاوف وهلع في أوروبا.

¹ - أوزوتا يلماز ،تاريخ الدولة العثمانية، ج1، المرجع السابق، ص 374.

² - جون وولف، المرجع السابق، ص 87.

³ - البرجاوي سعيد ،المرجع السابق، ص 139.

⁴ - حسن، عمر الاسكندري سليم تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر،مراجعة أ.ج.سفذج،مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة ،2017، ص 44.

⁵ - البرجاوي سعيد ،المرجع السابق، ص 138 139 .

⁶ - Anievas, Alexander, and Kerem Nişancıoğlu.,The Ottoman-Habsburg Rivalry over the Long Sixteenth Century. How the West Came to Rule ,The Geopolitical Origins of Capitalism, Pluto Press, 2015, p114.

⁷ - markria souhila, opcit, ,p 309.

الثيمة الدينية لمعركة ليبانت التاريخية

- لقد شكل الفتح العثماني لجزيرة قبرص في سنة 1570م وقعا كبيرا في أوروبا، والتي رأت بأن الخطر العثماني بات يهدد أوروبا والمسيحية معا، وهو ماسوف يؤدي الى اشعال فتيل الحرب بينهما خاصة في ظل ظهور شخصية البابا بيوس وتعيينه على رأس البابوية.
- لعبت البابوية بزعامة البابا بيوس الخامس دورا هاما وكبيرا في توحيد الدول الأوروبية وتوحيد صفوفها، وعملت بقيادة البابا على تأجيج الخطاب الديني لديها وتجميعها وذلك بتشكيل الحلف المقدس في 25 ماي 1571م لمجابهة القوة العثمانية والوقوف أمامها .
- بالرغم من تباين الأهداف واختلافها بين الدول الأوروبية المشكلة للحلف المقدس الا أنها جعلت لها هدفا واحدا وهو القضاء على المد الإسلامي العثماني الذي بات يهددها ويهدد المسيحية كما رأت البابوية ذلك.
- عرف خليج ليبانت في سنة 1571 م وقوع معركة فاصلة بين العالم الإسلامي ممثلا في الدولة العثمانية، وبين العالم المسيحي الذي مثلته الدول الأوروبية برعاية البابوية، ولقد وصفت المعركة بأنها كانت دموية وعنيفة، ويبدو أن الجانب المسيحي كان فيها أكثر استعداد من الطرف العثماني حيث ساهم تفوقه العسكري في جانب الأسلحة وصناعة السفن خاصة سفن البندقية الستة في قلب موازين المعركة لصالحه.
- انتهت المعركة بانهزام الأسطول العثماني و وفاة معظم قادته باستثناء علي الذي استطاع بفضل حنكته وخبرته الحربية أن يخرج من المعركة وينقذ ماتم إنقاذه سفن الأسطول العثماني، ويبدو بأن هذا الانهزام لم يكن سوى انهزاما معنويا بدليل سرعة بناء الأسطول العثماني الجديد بعد بضعة أشهر من المعركة خاصة بعد تعيين علي كقبطان عليه.
- استقبل العالم المسيحي هذا النصر بالأفراح والاحتفالات وتمجيد قادة النصر، واعتبرته البابوية نصرا للمسيحية على الإسلام، بالرغم أنه لم يقدم أي تقدم استراتيجي للدول الأوروبية ودليل ذلك عدم استرجاع قبرص التي كانت السبب المباشر لهذه الحرب، كما أن هذا الحلف سوف يلغى مباشرة بعد وفاة البابا بيوس الخامس وهذا بعد حدوث خلافات بين دوله فعقدت البندقية معاهدة صلح مع العثمانيين في سنة 1573م، أما اسبانيا وبالرغم من احتلالها لتونس في سنة 1573م الا أن الدولة العثمانية لم تلبث واسترجعتها في سنة 1574م وكان هذا بداية لتفكيرها في عقد هدنة مع العثمانيين وهو ماتم في سنة 1580م ، وهو ما انجر عنه تباعد القوتان عن بعضهما البعض.
- لقد كانت معركة ليبانت إحدى محطات حلقات الصراع بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي التي عرفها العالم خلال العصر الحديث والتي كان حوض البحر الأبيض المتوسط ميدانا لها،

وبالرغم من تباين نتائجها على العالمين الإسلامي والمسيحي إلا أن تعتبر أحد أهم المعارك البحرية في التاريخ.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- حليم إبراهيم بك ، تاريخ الدولة العثمانية العلية (التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية)، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988.
- خليفة حاجي ، تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق وترجمة محمد حرب تسنيم حرب ، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم ، 2017.
- سرهنك إسماعيل ، حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج1، ط1، المطبعة الأميرية ، مصر ، 1316.
- المحامي محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق احسان حقي ، ط1، دار النفائس، بيروت ، 1981.

ثانياً: المراجع

- أحمد رمضان أحمد، تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط العصر الوسيط (35هـ - 655م / 978هـ - 1571م)، هيئة الآثار المصرية ، مصر ، 1985.
- أحمد صالح علي محمد ، في أصول التاريخ العثماني دراسة لعصر السلطان سليم الثاني (1566 1574)، دار تواصل للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2022.
- ألتر عزيز سامح ، الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا، ترجمة محمود علي عامر ، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1989.
- أوزوتا يلماز ، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح محمد الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ، تركيا، 1988.
- أوزوتا يلماز ، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري (269 1341هـ / 1231 1922م) ، ترجمة عدنان محمود سلمان ، مراجعة وتنقيح محمود الأنصاري ، مج 2، ط01، الدار العربية للموسوعات بيروت، 2010.
- أوغلي اكمل الدين احسان ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مج1، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، 1999.
- برجايوي سعيد أحمد ، الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت، 1993.

- بوحمشوش نعيمة، مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر ، القافلة للنشر والتوزيع ،الجزائر، 2015.
- بيرينجيه جان وآخرون ،موسوعة تاريخ أوروبا العام منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر، ج2، ط1، عويدات للنشر والطباعة ،بيروت، 1995.
- التميمي عبد الجليل ،الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية الموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1989.
- حسن، عمر الاسكندري سليم تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر،مراجعة أ.ج.سفذج، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة ، 2017.
- حسون علي ،تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية ،ط3، المكتب الإسلامي، بيروت ، 1994.
- الدغيم محمود السيد ،أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ،القاهرة ، 1994.
- ديل شارل، البندقية جمهورية أرستقراطية، تعريب أحمد عزت عبد الكريم ، توفيق إسكندر ،المعارف ،القاهرة، 1890، ص 156.
- الذهبي نفيسة ، الدولة العثمانية في مجالها المتوسطي خلال القرن 16م بين استراتيجية الجهاد وصراع الهيمنة (كتاب جماعي)، عبد الرحمان المودن عبد الرحيم بنجادة ،العثمانيون والعالم المتوسطي ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،الرباط، 2003.
- الرائي ادريس الناصر ،العلاقات العثمانية الأوربية في القرن السادس عشر، ط1، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت، 2007.
- الزناتي عبد الوهاب محمد ،قبرص من معاوية الى أجويد 648. 1974م ،دار غربي للنشر والتوزيع ،القاهرة، 2002.
- الشناوي عبد العزيز محمد ،الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ،ج2، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة ، 2004.
- الشناوي عبد العزيز محمد ،الدولة العثمانية دولة إسلامية دولة مفترى عليها، ج2، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة ، 2004.
- شوسوا روبير ،المعارك البحرية الكبرى في التاريخ، ترجمة عبد الرحمان حميدة، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، 1984.

- صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.
- طقوش محمد سهيل، التاريخ الإسلامي الوجيز، ط5، دار النفائس للنشر والتوزيع، بيروت، 2011.
- العسلي بسام، الجزائر والحملات الصليبية 1547 1791، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980.
- العطار عدنان، الدولة العثمانية من الميلاد الى السقوط، ط1، دار وحي القلم، سوريا، 2006.
- فارس محمد خير الدين، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، ط1، مكتبة دار الشرق، بيروت، 1969.
- فيلالي كمال، تاريخ المغرب الحديث (من فتح القسطنطينية الى سقوط قسنطينة 1453 1837 م)، دار الكسندر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، ألف ادوك، قسنطينة، 2018.
- مانتران روبر، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، ج1، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993.
- متولي أحمد فؤاد، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، اينراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.
- مصطفى أحمد عبد الرحيم، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، مصر، 1993.
- المفتي عبد العزيز، الكنيسة والإسلام والسياسة، دار آمنة للنشر والتوزيع، الأردن، 2011.
- نورويش جون جوليوس، الأبيض المتوسط تاريخ بحر ليس كمثل بحر، ترجمة طلعت الشايب، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015.
- نيكولاي ايفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية 1517 1574، ط1، نقله الى العربية يوسف عطا الله، مراجعة مسعود ضاهر، دار الفارابي، بيروت، 1988.
- هزاع بن عيد الشمري، المعجم الجغرافي لدول العالم، ط5، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2012.
- وولف جون ب.، الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- Anievas, Alexander, and Kerem Nişancioğlu., The Ottoman–Habsburg Rivalry over the Long Sixteenth Century. How the West Came to Rule ,The Geopolitical Origins of Capitalism, Pluto Press, 2015.
- Braudel Fernand, la mediterranee et la monde méditerranéen à l'époque de philippe 2, tom 2, edition 6, armand colin , paris, 1985

الثيمة الدينية لمعركة ليبانت التاريخية

- Djuvara.T.G,cent projets de partage de la turquie ,librairie felix alcan,paris,1914.
- E.Hamilton Currey.R.N,sea wolves of the Mediterranean the grand period of the moslem corsairs,new York,e.p duttonand copany,1910.
- Grammont H.D.De ,histoire d'alger sous la domination turque(1518-1830),ernestleronx,paris,1887.
- Jurien de la Gravière,la guerre de chypreet la bataille de lépant , librairie plon, paris,1888 .
- Siredward .s,creasy,histor of the ottoman turks,henry holt and company,newyork,1878.

ثالثا: الرسائل والمذكرات

- البيشي سعدية سعيد علي ،الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو ،رسالة ماجستير،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى،السعودية،1997.
- تومي طاهر ،علاقات الايالات المغاربية العثمانية مع اسبانيا ما بين 1520 1792م ، رسالة دكتوراه،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة جيلالي اليابس،سيدي بلعباس،2019 .
- رضوان نبيل عبد الحي ،جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث ،رسالة دكتوراه،جامعة ام القرى،مكة ،1918،ص 282.
- سي يوسف محمد ،قلج علي ودوره في البحرية العثمانية،رسالة ماجستير،جامعة الجزائر،الجزائر،1988.

رابعا: المقالات

- فكاير عبد القادر ،دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571م ،مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ،العدد 09، معسكر،ديسمبر 2014.
- قدوري زبير سلطان ،دولة فرسان مالطا، مجلة الفكر السياسي،اتحاد الكتاب العرب ،المجلد 20، العدد 72،سوريا،2019.
- مزغني خيروم بدر الدين ،دور الأحلاف العسكرية في حفظ الأمن الجماعي الدولي وفقا لميثاق الأمم المتحدة ،مجلة العلوم القانونية والسياسية ، العدد 08، جانفي 2018، جامعة الوادي.
- Biddulph Robert,cyprus proceedings of theroyal geograpgical,society andmonthly record of geography,vol 11,no12,1989.
- Brown Kevin A, The Siege of Malta, 1565, American International Journal of Social Science , vol. 8, no. 2, June 2019.
- Guilmartin John F, Ideology and Conflict: The Wars of the Ottoman Empire,1453-1606 Guilmartin The Journal of Interdisciplinary History, vol 18, no 4, 1988.

- Markria souhila , Lepanto un encuentro de máxima rivalidad entre Felipe II y el mundo osmanlí, oussour al Jadida université oran 1 ahmed ben bella ,vol7, no 27,2017.
- Soucek, Svatopluk. ,Navals Aspects of the Ottoman Conquests of Rhodes, Cyprus and Crete, Studia Islamica, no. 98/99, 2004.
- Straub, J,How Cyprus Came under Turkish Rule A Conquest and the Historians, Wiener Zeitschrift Für Die Kunde Des Morgenlandes, vol 82, 1992.
- Usher Phillip John, La Défaite Des Turcs à La Bataille de Lépante Des Plaquettes Populaires à La Poésie Épique, L'Esprit Créateur, vol 53, no 4, France,2013